(SUJHUS) مجلة جامعة سومر للعلوم الانسانية (ISSN: 2959-5436)
عدد خاص بوقائع المؤتمر العلمي الدولي الثالث للعلوم الانسانية والتربوية والنفسية الذي اقامته جامعة سومر للفترة من 24-25 نيسان 2024 /القسم الثاني/ محور علوم القرآن ومحور اللغة العربية ومحوراللغة الفارسية,
الصفحات 502–514

السياسة وأثرها في توجيه الشعر النسوي في عصري صدر الإسلام والأمويّ

م.م. مرتضى حسين خريبط[1*]

[1]كلية التربية الأساسية، جامعة سومر، ذي قار، العراق

الملخص

أدتْ السياسة دورًا هامًا في عصري صدر الإسلام والأمويّ؛ وذلك نتيجة للأحداث التي ظهرت فيهما، فكان حضور المرأة الشاعرة جليّا، إذْ لها رأيٌ وتوجه حزبي عبرتْ عن طريقه عن فكرة الحزب أو الجهة السياسية التي تنتمي لها، وكان للحزب الشيعي الحرية الأكثر في تعبير نسائه عن موقفها؛ لما رأينه من أحقيه الإمام علي (عليه السلام)، وأبنائه في الخلافة، في حين تميزتْ المرأة الخارجية عن غيرها من نساء الأحزاب الأخرى، بأنَّها دخلت الحرب مناصفةً مع الرجال وقادتْ الجيوش.

الكلمات المفتاحية: الشعر النسويّ، السياسة، الشعر السياسيّ، الشعر الشيعيّ، المرأة الخارجيَّة

Politics and its role in directing feminist poetry in the early Islamic and Umayyad eras

Asst.Lecturer. Murtadha Hussein khuribt[1*]

[1]College of Basic Education, University Sumer, Dhi Qar, Iraq

Abstract:

Politics played an important role in the early Islamic and Umayyad eras. This is as a result of the events that occurred in both of them. The presence of the woman poet was clear, as she had an opinion and a partisan orientation through which she expressed the idea of the party or political party to which she belonged. The Shiite party had the greatest freedom for its women to express their position. Because we saw the right of Imam Ali (peace be upon him) and his sons to the caliphate, While foreign women distinguished themselves from other women of other parties, in that they entered the war equally with men and led armies.

Keywords: Feminist poetry, politics, political poetry, Shiite poetry, outside women

تستخدم كلمة السياسة استعمالاً لغوياً، فهي تُستعمَل بوصفها اسماً، ويتمثل ذلك في قولنا " هذه سياسة "، وتستعمل أيضاً فيما يقال عن سلوك الإنسان و(إنَّها سياسة)، وما يطلق على إنسان غير متسرع أو حصين الرأي، مثل قولنا (إنه رجلٌ سياسيٌ) [(1)].

والعلماء لم يقفوا على رأي واحدٍ في أصل كلمة السياسة، فمنهم من قال إنَّها معربةٌ عن الفارسية، أو إنَّها ذات صلةٍ باللغةِ اليونانية القديمة، ومنهم مَن قال إنَّها دخلت الى اللغة العربية من طريق اللغة السريانية[(2)].

* **Email address: mrtadha.mm150@gmail.com**

وهناك رأيٌ عدَّ كلمةَ السياسة كلمة عربية الأصل، ومصدرَها (سَاسَ)، و(يَسُوْسُ)، ففي " لسان العرب " يقول ابن منظور: إنَّ السياسة هي القيام على الشَّي، بما يصلحه، والسياسة فعل السائس، يقال: هو يسوس الدواب إذا قام عليها وروَّضها. والوالي يسوس رعيته[2].

أمَّا الزبيدي في تاجه، فقد عدَّ السياسة: ((السَّوس بالفتح الرياسة، وسَاسُوهم سَوسَاً، وإذا رأسوهم يقال سوسوه وأسَاسوه، ورجلٌ سياسيٌ من قوم ساسة وسواس، وسوسه القوم جعلوه يسوسهم، وسوس له أمر أي فرضه وذَلَلَه)) ([3].

ونتيجة للصراعات المتواصلة في أمة العرب كان لِزاماً على الإنسان في تلك المجتمعات أنْ ينضم للمجموعة ليضمن حياته، في المقابل هناك واجبات يجب عليه تنفيذها لذا ظهر مصطلح (القبيلة) إذ مثلت القبيلة خياراً حقيقياً للإنسان الجاهلي، الذي وجد نفسه في عالم مستغلق بسبب المعطيات الجدب والحرب، وما نتج عنهما من مأسسة للقوة التي حاولت فرض معاييرها كمرجعية جوهرية يقوم عليها البناء القيمي في المجتمع الجاهلي.

ويرى يوسف خليف أن "العقد الاجتماعي" بين الشاعر والقبيلة تحول إلى "عقد فني" جعله معرباً عن مشاعرها وتطلّعاتها قبل أن يكون معرباً عن مشاعره واتجاهاته الشخصية؛ لذا اتجهت "الأنا" نحو "النحن" من خلال الفخر، والإشادة بالقيم الجماعية التي مثلتها القبيلة، فكانت الغاية قبلية، وإن تكن الوسيلة فردية[1] .

إنَّ العصبية التي تمظهرت في الانتماء القبلي كانت خياراً حقيقياً للشاعر الجاهلي، وهي المرآة التي يرى فيها وجوده كاملاً، والمجلي لحريته، فانتماؤه القبلي هو عين اكتساب الذات هويتها الفردية ووجودها الأخلاقي، إذ لم يكن الفن ـــ ومنه الشعرـــ باستمرار مجرد زخرف يزين البناء الاجتماعي، بل جزء من هذا البناء، وتمتد ذات الشاعر الجاهلي بقدر تجليات القبيلة في الواقع، فهي مانحة الهوية الفردية، وصانعة مجال الحرية، والقدرة على البوح، ففي هذا الصدد يقول تميم بن أبي مقبل:

فقــل للذي يـــــبغي عـــــليَّ بقومه أجدَّاً تقـــــول الحــقَّ أم أنت تمزحُ

بنو عامرٍ قومي، ومن يكن قومه كـــــقومي يكـــــن فيهم لهُ مُـــتندحُ

ويقول أيضاً :

لقـــــــــــد كان فينا من يحوط ذمارنا ويُحـــــذي الكميَّ الزاغــبي المُؤمـــــرا

ويقول جابر بن رألان السنبسي

قد يعلم القوم أنا يوم نجدتهم ... لا نتقي بالكمي الحارد الأسلا

لكن ترى رجلا في إثره رجل ... قد غادرا رجلا بالقاع منجدلا

وتبقى القوة القبيلة والعصبية متصلان بالانتماء القبلي؛ وتأكيدهما وتأصيلهما بالفعل والكلمة/ الشعر وهي مهمة عُظمى للشاعر الجاهلي، وهي الظاهرة الأكثر تجذراً في شعوره، أذ القوة هي القدرة على تشكيل العالم والأشياء من حوله، وهي تحقق المجد الباحث عنه أبداً .

ولما كان الشاعر الجاهلي لسان حال القبيلة والمعبر عنها في سلمها وحربها وفي ألآمها وهمومها ، فقد كان الوسيلة الوحيدة في نقل أخبارها وصورها الاجتماعية والاقتصادية والمعيشية، فقد وصف لنا الصحراء وناقته ،ووصف لنا المرأة،

كما انه وصف لنا ما كان في هذا المجتمع من قيم كالكرم والجود والبخل، و لم يبعد عن وصف حالة الفقر وتجسيدها في أشعاره وكيف يغفلها وهي كانت أكثر التصاقا وارتباطا بمجتمعه وبيئته ((ولعل احساس الشاعر بالفقر وانفعاله كان أكثرا وضوحا وظهورا ،وقد جلي ذلك في حديثه عن المعوزين الذين كانوا يترقبون مواسم الحج لينالوا من بر الحجيج وصدقاتهم ،كما جلي أيضا في تعبيره عن الامتناع عن الضريبة التي كانت تجبى من القبائل الفقيرة ،وجلي أخيرا في رغبته ان يكون التكافل وتوزيع الثروات سائداً بين أفراد القبيلة وبين الأهل والأقرباء))[2].

إذ صوَّر لنا الشعراء ما تفرض على هذه القبائل من إتاوات وهي التي يسميها الجاحظ في كتابه الحيوان ((المكس)) حيث يقول كانت ملوك العرب ((تأخذ من التّجّار في البرّ والبحر، وفي أسواقهم، المكس، وهو ضريبة كانت تؤخذ منهم، وكانوا يظلمونهم في ذلك))[3].

وهذه الإتاوات أو المكس هي عبارة ضرائب كانت تفرض من قبل الملوك ورؤساء القبائل على الطبقات المحرومة، وتؤخذ إجبارا وفي ذلك يقول شاعرهم جابر بن حنى التغلبي، رافضا هذا الأمر:

لا تستحي منَّا مُلوكٌ وتتَّقي ... محارِمنا لا يبوؤ الدَّم بالدَّمِ
نُعاطِي المُلوكَ السِّلْمَ ما قَصدُوا بِنَا ... وليسَ علينا قَتْلُهُمْ بمُحَرَّمِ[4]

ويقول الآخر:

لا ابن المعلَّى خِلْتَنَا وحسِبْتَنَا ... صرارِيَّ نُعْطِي الماكِسِينَ مُكُوسَا[5]

فنحن نلمح من خلال هذا الأبيات إلى ما كان يعاني منه هذا المجتمع، فقد انتشر فيه الجوع والحرمان والهلاك، ورسم لنا الشعراء في ذلك صورة واقعية لهذا الواقع المرير الذي يعاني منه الإنسان الجاهلي.

واتخذ شعراء السياسة الاستفهام كوسيلة إقناعية تُلبّي غايتهم السياسية وتستميل المتلقي لخطاباتهم، وما يريدون زجه بوساطة الاستفهام آليات يقوم عليها حزبهم، ومن جانب آخر هدم مفاهيم الأحزاب الأخرى.

ويبرز شعر الشيعة، إذْ أساس نظرية العلويين السياسية، والإمامة. ومن عناصرها المهمة، التقية والعصمة [6]. ودار معظم شعر حزب العلويين حول هذه المبادئ ، وكانت لشعرائه أساليب جديدة في التعبير عن آرائهم ومعتقداتهم ، فقد سلك فريق منهم مسلك الحجاج ، فهم يبسطون أدلتهم وحججهم ، في إثبات أحقية الإمام علي رضي الله عنه في الخلافة ، وهو أسلوب لم يعهده الشعر قبل هذه المدَّة، فالكميت يقول في أحقية آل البيت بالخلافة[7]، فيقول الكميت في ذلك:

وأصفـــــــــاه النبي عـــــلى اختيـــــار بما أعلى الرفـــــوض له المذيعا
ويـــوم الدوح دوح غـــــــــــدير خم أبان له الـــــــــــــــولاية لو أطيعا
ولكن الرجال تبا يعـــــــــــــــــــــوهـا فلم أر مثلها خطـــــــــــــرا مبيعا
فلمْ أبلغْ بها لعـــــــــــــــــنا ولكـــــــــــن أساء بذاك أو لهم صنيعـــــــــا
فصار بذاك أقربهـــــــم لعـــــــــــــدل إلى جور وأحفظـــــــهم مضيعـــــا
أضاعوا أمر قائـــــــــــــــدهم فضلـــــوا وأقـــــــومهم لدى الحدثان ريعـــــا

تناسوا حـــــــــــــقه وبغـــــــــــــوا عليه بلا ترة وكـــــــــــان لهم قريعـــــا

فالكميت بن زيد الأسديّ تعكَّز على الحجاج في الدفاع عن حق آل البيت (عليهم السلام)، فأصبح الشعر عنده وسيلة احتجاج خالصة، إذْ جاء بالأدلة العقلية والنقلية في تبيان أحقية آل البيت بالخلافة، حتَّى عُدَّ مبدع فن الحجاج السياسيّ في الشعر، ويقال أنَّه أوَّل من علَّم الشيعة طريقة الاحتجاج[8] في قوله :

وأحمِلُ أحقَادَ الأَقَـــــارِبِ فِيكُمُ وَيُنصَبُ لِي في الأبعَدِينَ فَأنصُبُ

بِخاتِمِكُم غصباً تَجُـوزُ أُمورُهُم فَلَم أرَ غَصباً مِثلَهُ يَتَغـــــصَّبُ

وَجَدنَا لَكُم فِي آلِ حَامِيمَ آيـــــةً تَأوَّلَهَا مِنَّا تَقِيُّ وَمُعـــــــــــرِبُ

وَفِي غَيرِهَا آياً وآياً تَتَابَعَـــت لكم نَصَبٌ فِيهَا لِذِي الشَكِّ مُنصِبُ

إذ وظف الاستفهام للنصح، واستنهاض الهمم ضد الأمويين، فأرسل مخاطبا سكان مرو بعد أن ثاروا على الحكم الأموي ، وأرسل إليهم خالد القسري أسد بن عبد الله ، فقال:

فكيف وأنتم سبعون ألفا رماكم خالد بشبيه قرد ؟

ومن ولى بذمته رزينا وشيعته ولم يوفي بعهد [27]

يحاول الشاعر تحذير أهل مرو من غدر خالد القسري، وعبد الله بن أسد ، واستنهاضهم ضد حكومتهم الظالمة، وعدم الخضوع لها ، فلا يجب الخضوع لأسد، الذي وصفه بالقرد، ولعله أراد هنا السخرية ، فجاء باسم حيوان قبيح جبان هو في الحقيقة أقرب إليه من اسم الأسد.

فَـــقُل لِبَنِي أُمَيَّةَ حَيـــــثُ حَلُّوا وإن خِفـــــتَ المُهَنَّدَ والقطِيعَا

ألاَ أُفٍ لِـــدَهـــرٍ كُنـــــــتُ فِيهِ هِدَانَاً طَـــــائِعاً لَكُمُ مُطِـــــــيعَا

أجَاعَ اللهُ مَـــــن أشبَعـــــتُمُوهُ وأشبَعَ مَن بِجَورِكُمُ أُجِـــــــيعَا

وَيَلعَنُ فـــــــذَّ أُمَّتِهِ جِهَـــــــارَاً إذَا سَاسَ البَرِيَّةَ والخَـــــــلِيعَا

بِمَرضِيِّ السِّـــــــيَاسَةِ هَاشِمِيٍّ يَكُونُ حَيَاً لأُمَّتِهِ رَبِيـــــــــــــعَا[1]

واتخذ السيد الحميري من الاستفهام وسيلة لإظهار تعجبه ممن يجادلونه في حب آل محمد (عليهم السلام) ، فيقول :

ولقـــد عـــجبتُ لـــقائل لي مرّة عـــلامة فـــهم مـــن الفُهمـــاء

أهجرت قومك طاعنا في دينهم وسلكت غير مسالك الفقهاء ؟

هـــلا مـــزجـــت بـــحـــبّ آل محمد حُبّ الجـميع فكنت أهل وفاء

فأجبته بجواب غير مـــــــــباعد للحق مـلبوس عليه غطائي

اهـــل الكساء أحبتي فـهم اللذو فرض الإله لهم عليّ ولائي[9]

اتخذ الشاعر الاستفهام وسيلة لإظهار التعجب على لسان علّامة يسأله كيف يترك مذهبه ويتفرد قلبه بحب ال البيت؟ طالبا منه أن يحب جميع الصحابة دون تمييز ، فأجابه أن ولاية آل البيت مفروضة من الله تعالى ، وهو الدليل على حبّه لهم ، كما حمل دلالة الثبات على الموقف، وعدم التراجع عن عقيدته ، فكان الاستفهام وسيلة للإفصاح عن عاطفة الشاعر، وموقفه تجاه أهل البيت (ع) ، فضلا عما لهذا الأسلوب من جمالية خاصة وتأثير في المتلقي .

واخفى الشاعر الزبيري عمرو بن هند النهدي وراء الاستفهام المدح لعبدالله بن الزبير، وابنائه[33]:

ألم تر أولاد الزبير تحالفوا على المجد ما صامت قريش وصلّت ؟

هم منعوا البيت الحرام فأصبحت اميّة تاهت في البلد وظلّت

قريش غياث السنين وانتم غياث قريش حيث سارت وحلّت

جاء الاستفهام لإثارة المستمع، وتشويقه، وتأكيد صفات الممدوح: ابن الزبير، وابنائه، وأمجادهم المتأصلة أصالة قريش، وقدسيتها عند العرب منذ الأزل في الجاهلية والإسلام، فهو تعظيم لشأن الممدوحين، وتأكيد على أحقيتهم بالخلافة المزعومة التي حاول الشاعر إيصالها إلى المتلقي بالتلميح.

استثمرتْ المرأة الدور العظيم الذي أعطاها إياه الإسلام، لتصدح بصوتٍ عالٍ، في سبيل تحقيق مصيرها ومصير مجتمعها، وقامتْ بتدخلات سياسية مدافعةً عن الإسلام أو وقفتْ في وجهه هاجيةً له، إذ زاحمتْ الرجال في المواقف السياسية، فحملتْ على عاتقها القضايا السياسية التي شهدها ذلك العصر، وألغتْ ما يعرف بالتمييز بين الذكر والأنثى وتناولتْ في شعرها قضايا جعلت منها محط أنظار النقاد.

ومن الشاعرات اللاتي أظهرنَ حقداً وكراهيةً للإسلام ونبيه (صلَّى الله عليه وآله وسلم) عصماء بنت مروان[*] أخذتْ تحرض على قتله بقولها:

باستْ بني مالكٍ والنبيت ** وعوفٍ وباست بني الخزرجِ

أطعتُم أتاوى مِن غيركم ** فلا من مرادٍ ولا مذحجِ

ترجونُهُ بعد قتلِ الرؤوسِ ** كما يُرتجى مَرَق المنضجِ

ألا أنفٌ يبتغي غرةً ** فيَقطعُ من أملِ المرتجي[10]

فالشواعر قد رفعنَ صوتهن ذلك الصوت الذي يعد مستكرهاً قوله من المرأة في عُرف العرب، إذ كان الرجل منهم يذوب خجلاً إذا أنشدت إحدى قريباته بيتاً واحداً[11]؛ لأنَّ الثقافة ترى في صوت المرأة عورة يجب حجبه وحجزه وتشديد الرقابة عليه، فهي تنظر في المرأة خطراً يهدد النظام الاجتماعي، لكنَّ تمرد المرأة جاء جرأةً سياسيةً واجتماعيةً، فسياسيةً في سعيها للتحريض على القتل وإراقة الدماء وإثاره الفتن والضغائن وتنمي الأحقاد في نفوس قومها ضدَّ مَن عرف بصدقه وأمانته بينهم.

وأولى الشاعرات في عصر صدر الإسلام هند بنت عتبة التي دخلت الحرب لتشحذ همم المقاتلين إلى جانب زوجها أبي سفيان، إذْ راحتْ تعدد المكافآت التي تنتظر الفارس إذا انتصر، وما عليه من هجر وعقاب إذا هزم، فتقول:

نحن بنات طارق نمشي على النمارق

مشي القطا الموانق قيدي مع المفارق

ومن أبى نفارق إن تقبلوا نعانق

أو تدبروا نفارق فراق غير وامق

هل من كريم عاشق يحمي عن العوانق

والمسك في المفارق والدر في المخانق

فهند تدخل في مناقضات منذ عهد مبكر في الإسلام بين هند بنت عتبة التي أخذتْ تتشفَّى بمقتل الحمزة بن عبد المطلب (رضي الله عنه)، في معركة أحد:

نـحـن جـزيـنـاكـم بـيـومِ بـدرٍ ** والـحرب بعد الحربِ ذاتَ سُعرِ

شـفـيـتُ نـفسي وقـضيتُ نَذرِي ** شـفيتُ وحـشـيَّ غـليلَ صـدرِي

فـشكـرُ وحـشـيَّ عـلـيَّ عـمـري ** حـتَّـى تـرمَّ أعـظـمـي فـي القبرِ[12]

لترد عليها هند بنت أثاثة بن عباد بن عبد المطلب، تثأر لما تراه من الشماتة في أهلها:

(الرجـز)

خزيت في بدر وبعـــــــد بدر يا بنت وقاع عـــــــظيم الكفـــــــر

صبحك الله غـــــــداة الفجر م الهاشميـــن الطوال الدهـــــــــر

بكل قطاع حسام يفـــــــــري حمزة لـــــــيثيٌ وعـــــلي صقـــــري

إذ رأم شيب وأبوك غـــدري فخضبا منه ضواحي النحـــــــــــــر

هتك وحشيّ حجابَ الستـــــرِ ما للبغايا بعـــــــدها من فخـــــــــــــرِ

ونذرك السوء فشر نذر[13]

هذه النقائض التي نهضت بين معسكرين مختلفين في مآربهما معسكر الإيمان، ومعسكر الشرك، فقد بينتْ كل شاعرة ما في نفسها تجاه المعسكر الذي تنتمي إليه، وكأنَّها وجدتْ نفسها مجبرةً في الدخول لهذا المعترك الذي لم تختره لنفسها، بل فرضه واقع ذلك العصر فحاربتْ بشعرها قدر استطاعتها ومجاراتها الرجال في هذا المضمار.

وتدخل مضمار السياسة صفية بنت عبد المطلب، فتذكر قريشاً بحسبها ونسبها، وأنَّ الله شرفهم بأن يكون نبيه منهم، فهم الأشراف في سالف زمانهم، وهم أصحاب الخيرات في لاحقهم، فتقول:

ألا مـن مُبلغ عنِّـــــــــي قريشاً ففيم الأمـر فـــــــــينا والامـار
كنا السلف المقدم قد عـــــلمتم ولـم تـوقد لنا بـالغـــــــدر نـار
وكل مناقب الـخيـــــــــــرات فينا وبعض الأمـــــــر منقصة وعـار

في الجانب الآخر نجد زوجة عباس بن مرداس تنهاه من الانتماء للدين الجديد، بل وتعد الدخولَ فيه من الفجائع التي تحط على المرء، فتقول:

ألـم يـنـهَ عبَّـاسَ بن مرداس أنَّنِي ** رأيـتُ الورى مخـصوصةً بالـفجائعِ
لعـمـري لئن تـابـعـتَ دين محمـدٍ ** وفارقـتَ أخـوان الصَّـفا والصَّنـائعِ
لـبـدَّلـتَ تـلك الـنَّـفسَ ذلاً بـعـزَّةٍ ** غداةَ اخـتلافِ المُرهفاتِ القَواطِعِ[2]

وأخذ التعصب المذهبي يصطبغ بصبغة سياسية بحتة في عصر بني أمية، فأصبحتْ الدولة العربية الإسلامية مقسمةً على أحزاب وفرق، أهمها أربعة أحزاب هي : الشيعة، والخوارج، والزبيريون، والأمويون، وكلُّ حزبٍ أصبح له مَنْ يدافع عنه من الرجال والنساء إلا أنَّ معظم الشواعر تعصَّبنَ لعلي (عليه السلام) وناصرن آل بيته من بعده، خلاف ما تعصَّبنَ للأحزاب الأخرى، ولعل ذلك راجعٌ إلى المكانة السامية التي حظي بها الإمام علي (عليه السلام) وقربه من رسول الله (صلَّى الله عليه وآله وسلم) وموقعه في الإسلام وزواجه من سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء (عليها السلام) فقد أخذتهنَّ العاطفة تجاه هذا الحزب[14] من تلك الشواعر بكارة الهلالية[*] التي ترى عدم صلاحية معاوية في الخلافة:

أتـرى ابـن هـنـد للـخـلافة مـالـكـا ** هـيـهـات ذاك وأنْ أراد بـعـيـدُ
مـنـتَـك نـفسك في الخلاف ضلالة ** أغـراك عـمـرو للـشقا وسعيدُ
فأرجـعْ بـأنـكـد طـائـرٍ بـنحـوسِـها ** لاقـتْ عـلـياً أسـعـدٌ وسـعـودُ[15]

هذا الموقف الحازم الذي وقفته هذه الشاعرة يُنبئ عن قدرة على تحليل المواقف السياسية واختيار الأصلح من بين الموجودين في الساحة، فهي لا ترى في معاوية الصلاحية لخلافة أمور المسلمين؛ بل هو مخدوعٌ من لدن المقربين له، وليس البشر وحدها من لا تريد خلافته، حتى الحيوانات أصابها البؤس والتشاؤم ما أنْ سمعتْ بهكذا خبر.

وموقف الشاعرة لم يتبدل وهي في حضرة مَنْ هجته في النص السابق، بل ازدادتْ ثباتاً ورباطة جأش، ودافعتْ عن عقيدةٍ اقتنعتْ بمبادئها دفاعاً مستميتاً في قولها:

قد كنتُ آمـلُ أنْ أمـوتَ ولا أرى ** فَوقَ المنابرِ من أميةِ خَاطِبا
فالله أخَّـر مدتي فَـتـطـاولـتْ ** حتَّـى رأيتُ من الزمانِ عجائبا
فـي كـلِّ يـومٍ لا يـزالُ خـطـيبُـهَم ** وسط الجموعِ لآل أحمدَ عائبا[16]

تستنكر التعريض بالإمام علي على منابر بني أمية، وتعد هذا الأمر من عجب الزمان الذي تمنتْ أنْ لا تراه، ولا يطول عمرها كي ترى هذا المشهد ماثلاً أمامها، وعبارات الشتم والسب في آل محمد أصبحتْ أمراً متفشياً وشائعاً بين أفراد المجتمع، ذلك الرجل الذي دافعتْ عنه، فبعاطفة امرأة وعقيدة سليمة وقفتْ هذه الوقفة الراسخة، حتى ذُكِرَ لمعاوية كلَّ ما قالته في مهاجمته، فخاطبته بقولها: ((نبحتني كلابك يا معاوية واعتورتني، فقصر محجني، وكثر عجبي، وعشي بصري، وأنا والله قائلة ما قالوا، لا أدفع ذلك بتكذيب، وما خفي عليك مني أكثر، فأمضِ لشأنك، فلا خير في العيش بعد أمير المؤمنين))[17], فقد تشرَّبتْ حبَّ التشيع الذي لا تستطيع كتمانه حتى في حضرة أشدَّ الناس كرهاً له، إنَّما تعلن حبَّها لعلي وأبنائه من بعده.

وممن أظهرنَ حبهنَ لمذهب التشيع والانتماء إليه، أمُّ سنان الخثعميَّة، فهي تُعرب عن صدق انتمائها لهذا المذهب، فترى علياً(عليه السلام)، كالبدر في الليلة الظلماء، فتقول:

عَـــــزبَ الرّقـادُ فَمُقلتي لا ترقـــــدُ وَاللّيلُ يـصدرُ بِالهـــــمومِ ويـــــــورد

يـا آلَ مـذحج لا مقام فشمّـــــــروا إنّ العـــــدوّ لآل أحـمـد يـقصـــــــــدُ

هَـذا عـلـيٌّ كَـالهِـلالِ تـحـفّـــــــــهُ وَسطَ السماءِ مِنَ الكَواكب أسعــدُ

خَـيـرُ الخَـلائقِ وَابـنُ عمّ محـــمّدٍ إن يَهدكم بِالنورِ منه تَهـــــــــتَدوا

ما زالَ مُذ شهر الحروب مظفّراً وَالنـصـرُ فـوقَ لِوائه مـا يفـــــــــقدُ

أسقط الإسلام الجهاد عن المرأة، لكنَّها بقيتْ تحلم في حمل السلاح والدفاع إلى جانب حزبها، فلمَّا أدركتْ عجزها، أرسلتْ مَنْ ينوب عنها للحرب بعد تجهيزه بالسلاح، وعلى رغم من ذلك بقيتْ أمنيتها حبيسة نفسها وتتمنى لها التحقيق، لتبين مدى إخلاصها للحزب المنتمية إليه، كما نقرأ في أبيات أم البراء بنت صفوان[*] في معركة صفين:

يا عمرو دونَكَ صَارماً ذا رونـقٍ	**	عضبَ المهزةِ ليسَ بالخوارِ
أسرجْ جوادَكَ مُسرِعاً ومُشمراً	**	للحرب غير معرَّدٍ لفـــرارِ
أجبْ الإمام ودب تحت لوائـــهِ	**	وافْرِ العدوَّ بصـــارمٍ بتَّـــارِ
يـاليتـني أصبحتُ ليس بعورةٍ	**	فـأذبَّ عـنـه عساكرَ الفجَّارِ[18]

شدة الحب لشيءٍ يدفع بالمحِب إلى تمني القيام بعملٍ من ضرب المستحيل لإرضاء مَن أحب، كي يبرهن له على مدى صدقه ومصداقية عاطفته تجاهه، ويخلصها من الشوائب والتملق والمصلحة، فالحب للتشيع وقائده دفعا بهذه المرأة إلى طلب أمنيات بعيدة التحقق لذلك استخدمتْ لها حرف التمني " ليت " فهي على يقين أنْ ما تتمناه لا يتحقق، لكنَّها بدوافع الشوق والرغبة في تقديم شيءٍ تُحمد عليه، فما أنْ شعرتْ بعجزها وبعد منال مناها، أرسلتْ مَنْ ينوب عنها مدافعاً ومشهراً سيفاً، لا يخون صاحبه إذا ضرب به.

وعند استشهاد أمير المؤمنين(عليه السلام) بكته بحرقة، مشيرة إلى أنَّه خير من مشى على هذه الأرض بعد رسول الله (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم)، فتقول:

يـا للرّجـالِ لعظـمِ هـولِ مصـــــــــيبةٍ فَدحت فَليسَ مُصابها بالهـــــــازل

الشـمسُ كـاسفـةٌ لِفقدِ إمـامـــــــــنا خيـرِ الخلائقِ والإمام العـــــــــــادلِ

يا خَيرَ مَن ركبَ المطيّ ومن مشى فَوقَ التـرابُ لمـحـتـف أو نـاعـــــــــلِ

حـاشـا النبيّ لَقد هـــــــــددتَ قواءنا فـالحـقّ أَصـبـحَ خـاضـعـاً للبـاطـــــــلِ

إنَّ عدد الشاعرات الخارجيات قليل مقارنة مع عدد الشعراء، وقل كذلك الاعتماد عليهن كحاملات للفكر، مثل أمراء الخوارج، وقل ورود شعرهن مقارنةً بالرجال، ومع ذلك، وصلتنا بعض المقطوعات التي قالتها تلك النساء، يعبرن فيها صراحة عن رأيهن، بشكل واضح في الصراع الفكري آنذاك، كما فعلت امرأة من بني شيبان، وقد قتل عدد من أفراد أسرتها مع الضحاك الحروري، فقالت:

مـــــــــن لقلب شقّه الحـــــزن ولـــــــــنفس ما لها سكـــــــنُ

ظعن الأبرار فارتحلـــــــــــــــوا خيرهم من معـــــــــــشر ظعنوا

فتية باعـــــــــــــــوا نفوسهم لا وربّ البيت ماغبنـــــــــــــوا

فالمرأة الخارجية وقد أخلصتْ وحاربتْ في سبيل المذهب الذي اعتنقته وخالفتْ نساء المذاهب الأخرى في كونها قد دخلتْ الحرب وحملتْ السلاح، وقادتْ الرجال في سوح الوغى لتعبّر عن الفلسفة التي آمنتْ بها الخوارج ومثلتها في شعرها ((وشعر الخوارج في هذا العصر شعرٌ يعبّر عن فدائيةٍ خالصةٍ، فهو كله بطولة وحماسة. واستبسال في سبيل العقيدة، وإقبال على حياض الموت الزؤام دون خوف أو وجل، بل في رِضاً وطمأنينة واستبشار بغفران الله!. وما أظننا نبعد في وصفنا لهم بأنَّهم كانوا فدائيين))[19] .

ومن الخارجيات مَنْ عصتْ زوجها في سبيل اللحاق في الجهاد والمجاهدين لتخبره بأنَّها لم تعد تلك الفتاة التي خُلِقَتْ للفراش الناعم والزوج، ولبس الخلاخل والمجوهرات، بل تركتْ هذا العيش الهانئ لفتاة في مقتبل العمر، قد نهد ثديها حديثاً، فهي أولى منها في الفراش والترف [*]:

أبـلغ مـجاشـع أنْ رجـعـتَ فـإنَّـنـي ** بـيـن الأسـنَّة والسـيـف مـقـيـلـي

أرجـو الـسـعادة لا أحدث سـاعـــةً ** نـفـسـي إذا نـاجـيـتـها بـقـفـــولِ

ووهـبـتُ خـدري والفراش لكاعبٍ ** فـي الـحـي ذات دمـالجٍ وحجولِ[20]

وهبتْ أيَّ شيءٍ من أجل الالتحاق بالضحاك، فخلَّفتْ بعدها زوجاً وبيتاً وحياة رغيدة، وآمنتْ بعقيدة الخوارج التي تُظهر الحماسة والتعصب الديني واعتقادهم خطأ أنْ المسلمين ضلوا سواء السبيل، وهم وحدهم على الصراط المستقيم الذي تريده العناية الإلهية[21] لذا سعتْ لنيل الشهادة وهجر الحياة الزوجية المترفة.

والمرأة نفسها يأخذها الشعور بأنثويتها والشوق لزوجها الذي خلفته بعدها ويغلب عليها طبعها الأنثوي ويهزها الحنين لأيامها تلك ، فتُكفِّر الخوارج وتعدَّ دينهم باطلاً ولا أحدٌ عاقل ينتمي إليهم:

تركتُ رمحاً ليناً مسَّه	**	وجئتُ رمحاً مسَّه قاتلِ
سيَّان هذا بدمٍ سائل	**	وذاك منه عسل سائلِ
مطعون ذاكم منه في لذة	**	وأمّ مطعون بذا ثاكلِ
مروا بنا نرجع إلى ديننا	**	فكلُّ دينٍ غيره باطلِ
وملة الضحاك متروكةَ	**	لا يحيينها أحدٌ عاقلِ[22]

إذْ تجاوزت الشاعرة نزعة الأنا وأطماعها، وأعطت الحياة شكلها وسلوكها، بعيدة عن رؤى المجتمع، وهذا ما يميز نساء الخوارج عن غيرهن، فهذه المرأة تقابل بين فكرتين متناقضتين: الرجوع إلى الدين والثبات عليه، والابتعاد عن أفكار الأحزاب الأخرى، ومن ثمَّ فهي تزعم أن أفكار الآخرين لا يمكن أن تفي بأهدافها، وتصل إلى مستوى فكرها؛ لتتخذها منهجا تسير عليه فالمقابلة كانت واضحة بين وضعين، الأول، يريد الحياة سهلة بسيطة والآخر، يراها صعبة، ويعتمد فيها على القتال والحرب والتضحية،

ومن الشواعر التي تكسبتْ بشعرها ـ كما هو الحال مع الرجال ـ الشاعرة ليلى الأخيلية التي مدحتْ العديد من الخلفاء والأمراء من بني أمية، أمثال معاوية بن أبي سفيان، ومروان بن الحكم، وعبد الملك بن مروان، والحجاج بن يوسف الثقفي[23] في قولها:

أَحَجَّاجُ إنَّ اللهَ أَعْـــــــطاك غايَةً يُقَصِّرُ عـــــــنها مَن أَرادَ مَداها

أَحَجَّاجُ لا يُفْلَلْ سِـــــلاحُكَ إنّما ال مَنـــــــــايا بِكَفِّ اللهِ حيثُ يَراها

إذا هَبَطَ الحَجَّاجُ أَرْضـــــــاً مَريضةً تَتَبَّعَ أَقْـــــــــصى دائِها فَشفاها

شَفاها مِنَ الدّاءِ العُضالِ الذي بِها غُلامٌ إذا هَـــــــــزَّ القَناةَ سَقاها

سَقـــــاها دِماءَ المارِقينَ وعَـــــلَّها إذا جَمحَتْ يَوْماً وَخِـــيفَ أَذاها

إذا سَـــــمعَ الحجَّاجُ رِزّ كَـــــتِيبةٍ أَعَدَّ لها قَبْلَ النـــــــــزولِ قِراهـــا

أَعَـــــــدَّ لَها مَصْقُولةً فـــــارِسيَّةً بأَيْدِي رجالٍ يَحْـــــلُبونَ صُراها

فَمَا وَلَدَ الأَبْكارُ والعَـــــوْنُ مِـــــثْلَهُ بِنَجْـــــــدٍ ولا أَرْضٍ يَجِفُّ ثَراها

أَحَجَّاجُ لا تُعْطِ العُـــــــصاةَ مُناهُمُ ولا اللهُ يُعْطِي لِلْعُـــــصاةِ مُناها

ولا كَلَّ حَلـــــــــأَفٍ تَقَـــــلَّدَ بَيْعَـــةً فأَعْـــــظَمَ عَهْدَ اللهِ ثُمَّ شَراها

بعد انتهائها قال الحجاج: لله ما أشعرها. وأمر لها بخمسمائة درهم، وخمسة أثواب وخمسة جِمال. وبعد مسيرها أقبل الحجاج على مجلسه وقال: أتدرون من هذه؟ قالوا: لا والله ما رأينا امرأة أفصح وأبلغ ولا أحسن إنشاداً . قال: هذه ليلى صاحبة توبة. ولم يكن الحجاج يظهر بشاشته ولا سماحته في الخلق إلا في اليوم الذي دخلت عليه ليلى الأخيلية.

وعلى ذات المنوال ذاته نجدها تمدح مروان بن الحكم، بقولها:

أدلَّتْ بقُربي عنْدَه وقضى لها قضاءً فلمْ ينقضْ ولم يُتعقَّبِ

فإنَّك بعد الله أنت أميـــــــــرُها وقُنعانُها في كلِّ خوفٍ ومرغبِ

فالشاعرة لم تختلف في مدحها عن مديح الشعراء الذكور عند مخاطبة أصحاب السياسة، وخاصة السياسة الأموية التي اسستْ لفكرة أنَّ اختيار الخلفاء الأمويين هو من عند الله (عزَّ وجلَّ)، فهم المؤيدون من عند الله، والله ناصرهم على أعدائهم، وهم أفضل المسلمين؛ لذلك وقع الاختيار عليهم.

ختاماً للشواعر مواقفٌ سياسيةٌ جليلةٌ يقف التاريخ لها إجلالاً واحتراماً، إذْ ناصرتْ المرأة الدين الجديد بشعرها، ووقفتْ ضدَّه، لكنَّها عبَّرتْ عن فلسفتها تجاه الموقف الذي اختارته، وما أنْ أصبحتْ الدولة مقسمة على أحزاب سياسية متناحرة، أخذتْ الشاعرة موقعها من هذه الأحزاب فكان لكلِّ حزبٍ شواعر يدافعنَ عنه ويعرِّضنَ بالأحزاب الأخرى، فوقفتْ الشواعر الشيعية موقفاً حازماً من مسألة الاختيار بين عليّ ومعاوية وأخذنَ يعددنَ صفات كلِّ واحدٍ منهما، ويحرِّضنَ الأولاد والأقارب للدفاع عن الإمام عليّ وأبنائه (عليهم السلام) ولم تتبدل موقفهنَّ حتى حين وفدنَ على معاوية بعدما آل أمر الخلافة إليه، في المقابل نجد الشاعرة الخارجية أكثر تحررٍ وقوةٍ وبسالةٍ من سابقتها ، فهي لم تقف لتشحذ همة المقاتلين وتحرضهم للجهاد، بل وشاركتهم جهادهم وقادتْ الجيوش في أرض المعركة حتى شهد لها الشعراء بشدّة بأسها، ومنهن مَنْ قُتِلتْ في المعركة ليرثيها الرجال[24].

إذن كان للمرأة العربية النصيب في التغيّرات التي طرأت على المجتمع العربيّ عقائديًّا وثقافيًّا وجغرافيًّا، واجتمعت هذه العوامل في العصر الأموي فأبرزت المرأة وصدّرتها للواجهات الاجتماعية والثقافية والشعرية، حضورًا مؤثّرًا ومتأثرًا، فكانت مادة الشعر وناقدة وراوية له في آن، ومجالسة الشعراء ومستميلة عقولهم كما قوافيهم بما هي عليه من قوة وجرأة.

الهوامش:

(1) لسان العرب: مادة سَاسَ .
(2) يُنظر: في السياسة ونظم الحكم، السيد عبد الحكيم الزيات، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1991م: 15.
([1]) دراسات في الشعر الجاهلي، يوسف خليف : 174 – 175 .
([2]) الإنسان في الشعر الجاهلي، الدكتور عبد الغني احمد زيتوني، مركز زايد للتراث والتاريخ، ط-1 ،2001 :263.
([3]) المصدر نفسه،391/6.
([4]) المصدر السابق،391/5.
([5]) المصدر السابق،391/5.
([6]) ينظر : الشيعة والعقائد ، الحائري، دار الآداب ، النجف، ١٩٦٧ :٤٢ .
([7]) شرح هاشميات الكميت: تحقيق: داود سلوم، نوري حمودي القيسي، مكتبة النهضة العربية، ط2، 1985م: 197.
([8]) يُنظر: المنطق الحجاجي والحجاج المنطقي في هاشميات الكميت بن زيد الأسديّ، العايش سعدونيّ، حوليات جامعة قالمة للغات والآداب، العدد17، 2016م: 131.
([9]) الديوان : 22.
([*]) عصماء بنت مروان شاعرة من شواعر العرب في صدر الإسلام كانت تعيب الإسلام وتؤذي رسول الله (ﷺ) فجاءها عمير في جوف الليل حتى دخل عليها وحولها نفر من ولدها نيام فجسها بيده وكان ضريراً ثم وضع سيفه في صدرها أنفذه من ظهرها ثم صلى الصبح بالمدينة . فقال له رسول الله (ﷺ) أقتلت بنت مروان . قال : نعم فهل علي في ذلك شيء. فقال النبي (ﷺ) لا ينتطح فيها

عنزان فكانت هذه الكلمة أول ما سمعت من النبي (ﷺ) وسمي عمير البصير . أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، د. ط، بيروت ـ لبنان، 1959م : 3 / 284 – 285 .

(10) الشعر النسائي في أدبنا القديم : الدكتورة مي يوسف خليف، مكتبة غريب، ط1، القاهرة، 1991م .

(11) يُنظر: شواعر العرب في العصرين الجاهلي والإسلامي " دراسة في ضوء النقد الثقافي"، هند كامل خضير، رسالة ماجستير، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة ذي قار، 2015م : 145.

(12) بلاغات النساء وطرائف كلامهن وملح نوادرهن وأخبار ذوات الرأي منهن وأشعارهن في الجاهلية والإسلام، الإمام أحمد بن طاهر(280هـ)، مطبعة والدة عباس الأول، ط1، القاهرة، 1908م : 33 – 34 .

(13) بلاغات النساء : 34

(2) ديوان الزنادقة: 34.

(14) يُنظر: المرأة العربية, عبد الله عفيفي، مطبعة القاهرة، 1932م: 165/2.

(*) كانت من نساء العرب الموصوفات بالشجاعة والإقدام والفصاحة والشعر والنثر والخطابة. كانت من أنصار علي بن أبي طالب في حرب صفين فخطبتْ بها خطباً حماسية حضت بها القوم على أنْ يخوضوا غمارات الحرب بدون خوف ولا وجل . أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام: 1 / 137 .

(15) بلاغات النساء : 40 .

(16) المصدر والصفحة نفسهما.

(17) أدب الخلفاء الأمويين, عبد الرزاق حميدة، مطبعة الانجلو المصرية، ط1، القاهرة: 71.

(*) أم البراء بنت صفوان بن هلال شاعرة ذات لسان فصيح ومنطق مبين. وهي ممن دخلن على معاوية بن أبي سفيان فاستأذنت فأذن لها فدخلت في ثلاث دروع كانت تسحبها قد كارت على رأسها كوراً كهيئة المنسف فسلمت ثم جلست . فقال : كيف حالك يا بنت صفوان ؟ قالت ضعفت بعد جلد وكسلت بعد نشاط . قال سيان بينك اليوم وحين تقولين :

يا عمرو دونَكَ صَارماً ذا رونقٍ

أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام : 122 – 123 .

(18) بلاغات النساء : 79 .

(19) التطور والتجديد في الشعر الأموي : 90 – 91.

(20) يُنظر : بلاغات النساء : 106.

(21) التطور والتجديد في الشعر الأموي : 91.

(22) شاعرات العرب: 209.

(23) يُنظر: أشعار النساء, محمد بن عمران المرزباني(384هـ) تحقيق، سامي مكي العاني، عالم الكتب، ط 1، القاهرة، (د. ت) : 111.

(24) يُنظر : مظاهر الجرأة في شعر صدر الإسلام والعصر الأموي: د. مرتضى حسين خريبط/ د. ضياء غني لفتة، دار الصفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، عمان ـ الأردن، 2024م: 136.

المصادر والمراجع

- جمال الدين محمد بن منظور (ت711هـ) ،لسان العرب، قدم له عبد الله العلايلي ، إعداد وتصنيف يوسف خياط ، ونديم مرعشلي ، دار لسان العرب ، بيروت ، 1970م.
- السيد عبد الحكيم الزيات ، في السياسة ونظم الحكم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1991م.
- مرتضى الزبيدي (ت1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس ، دراسة وتحقيق علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د. ط ، 1994م.
- خير الدين الزركلي، الأعلام قاموس تراجم، دار العلم للملايين، ط15، بيروت، 2002م.
- علي الشعيبي ،الإيجابية والسلبية في الشعر العربي بين الجاهلية والإسلام، اتحاد الكتاب العرب، ط 1، 2002م.
- محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي، المعرف بابن سعد (ت230هـ)، الطبقات الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990م، ط1.
- يوسف خليف،دراسات في الشعر الجاهلي، دار غريب للطباعة والنشر، ط2، القاهرة،
- الدكتور عبد الغني احمد زيتوني ، الإنسان في الشعر الجاهلي ، مركز زايد للتراث والتاريخ، ط2001،1.
- عمر رضا كحالة، أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، مؤسسة الرسالة، د. ط، بيروت ـ لبنان، 1959م.
- الدكتورة مي يوسف خليف، الشعر النسائي في أدبنا القديم ، مكتبة غريب، ط1، القاهرة، 1991م .

- هند كامل خضير، شواعر العرب في العصرين الجاهلي والإسلامي " دراسة في ضوء النقد الثقافي"، رسالة ماجستير، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة ذي قار، 2015م .
- الإمام أحمد بن طاهر(280هـ)، بلاغات النساء وطرائف كلامهن وملح نوادرهن وأخبار ذوات الرأي منهن وأشعارهن في الجاهلية والإسلام، مطبعة والدة عباس الأول، ط1، القاهرة، 1908م.
- عبد الله عفيفي، المرأة العربية, مطبعة القاهرة، 1932م.
- د. مرتضى حسين خريبط/ د. ضياء غني لفتة، مظاهر الجرأة في شعر صدر الإسلام والعصر الأموي: دار الصفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، عمان – الأردن، 2024م
- عبد الرزاق حميدة، أدب الخلفاء الأمويين, مطبعة الانجلو المصرية، ط1، القاهرة.
- محمد بن عمران المرزباني(384هـ) ،أشعار النساء, تحقيق، سامي مكي العاني، عالم الكتب، ط 1، القاهرة، (د. ت).
- شوقي ضيف، التطور والتجديد في الشعر الأموي، دار المعارف، ط7 ، القاهرة – مصر، د.ت.
- الدكتور عبد الغني احمد زيتوني، الإنسان في الشعر الجاهلي، مركز زايد للتراث والتاريخ، ط-1 ،2001.